الفضاء المكاني في رواية " عذراء سنجار" لوارد بدر السالم

الباحث : ضياء عبد الحمزة الزبيدي

طالب دكتوراه / قسم اللغة العربية وآدابها / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة الفردوسي

dzbydy@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث الى دراسة الفضاء المكاني في رواية " عذراء سنجار" ، وقد تناول الجزء الأول منه مفهومي الفضاء والمكان لغةً واصطلاحاً ، ثم أنواع المكان وأهميته في العمل الروائي ، وأخيراً التلازم النقدي لمصطلحي الفضاء والمكان. أما الجزء الثاني فقد تتبعت فيه الأماكن المغلقة والمفتوحة في الرواية، وتناولتها بالشرح والتوضيح، لمعرفة مدى نجاح الكاتب في توظيف المكان في العمل الروائي ، وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التحليلي لأنه المنهج الشامل الذي يضم كل العمليات اللازمة للبحث العلمي.

أما الخاتمة فقد تضمنت مجموعة من النتائج التي توصل إليها الباحث، وما تم رصده من ملاحظات في هذا الصدد.

الكلمات المفتاحية : (الفضاء ، المكان ، الأماكن المغلقة ، الأماكن المفتوحة ، عذراء سنجار).

patial space in the novel "The Virgin of Sinjar" by Ward Badr Al-Salem

Researcher: Diaa Abdul Hamza Al-Zubaidi

PhD student / Department of Arabic language and literature / College of Arts and Humanities / Ferdowsi University

This research seeks to study the spatial space in the novel "The Virgin of Sinjar". The first part of it deals with the concepts of space and place in language and convention, then the types of place and its importance in fictional work, and finally the critical correlation of the terms space and place. As for the second part, I traced the closed and open spaces in the novel, and dealt with them with explanation and

clarification, to find out the extent of the writer's success in employing the place in the work of fiction, and in my study this I relied on the analytical method because it is the comprehensive approach that includes all the processes necessary for scientific research as for the conclusion, it included a set of the researcher's findings, and the observations that have been observed in Thisregard..

Key words : (space, place , close places , open places , virgin sinjar)

المقدمة :

لقد سجلت الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣م حضوراً كبيراً ومتميزاً على الساحتين العربية والدولية، لأنها كانت قريبة من الواقع الاجتماعي بجميع إفرازاته وتحولاته، ولأنها تبنت تصوراً جديداً في طرائق النص واسلوبه.

ورواية " عذراء سنجار " من بين تلك الروايات التي قدمت تجارب غنية عن الواقع المؤلم الذي عاشه أبناء مدينة سنجار العراقية تحت وطأة أعتى وأخطر التنظيمات الإرهابية . وسنرى خلال البحث ان المكان الذي هو الهيكل الأساسي الذي يبنى عليه العمل الروائي، والعنصر الأهم الذي يشكل جمال النص ، قد لعب دوراً كبيراً في هذه الرواية ، من خلال تنوعه وتفاعله المستمر مع عناصر السرد الأخرى ، ومن خلال مساعدته للراوي في صياغة عالمه الحكائي بدقة ومهارة ، ولا أدل على ذلك من أن عنوان الرواية قد ارتبط بالمكان وكان يحمل دلالات رمزية كبيرة فالشابة الأيزيدية (نشتمان) التي سباها تنظيم داعش وتعرضت للاغتصاب ماهي إلا مدينة سنجار برمتها التي فقدت عذريتها وشبابها على يد هذا التنظيم.

وقد تداخل هذا المصطلح أي مصطلح المكان في الدراسات العربية بمصطلح آخر هو مصطلح الفضاء ، الى درجة أن بعض الدارسين لا يكادون يفرقون بينهما ، وقد انقسم النقاد والباحثون العرب أمام هذا التداخل الى أربعة أقسام كما سنرى ، الأول يرى أن مصطلح الفضاء أعمق وأشمل من مصطلح المكان ، والثاني اعتمد في دراسته على مصطلح المكان فقط ، والثالث جعل هذين المصطلحين في نفس الكفة ، والرابع رفض هذا المصطلح ومنهم عبدالملك مرتاض واستعان بمصطلح آخر هو الحيز، إلا أننا ذهبنا في بحثنا هذا مع الرأي القائل بأن الفضاء أشمل واكثر اتساعا من المكان ، وذلك لأن الفضاء غير محدود أو متناه ، في حين أن المكان محدود ومتناه ، وعليه تكون علاقة المكان بالفضاء علاقة الجزء بالكل.

وأخيراً أطمع كثيراً أن تنال دراستي استحسان كل من يقرأ، وأطمع أيضاً أن يستفيد منها كل من يطلع عليها ، وان بدت مني زلة أو عثرة فإني أطمع من الباري- جل وعلا- غفرانها لي ، وحسبي في ذلك إخلاص النية ، وسلامة القصد ، لأني طالب علم وعملي جهد بشر مجبول على النقص.

أسئلة البحث :

نريد في هذا البحث أن نجيب على الأسئلة التالية :

أ- ما هو المكان ؟ وما علاقته بمصطلحي الحيز والفضاء ؟

ب - ما أهمية المكان في العمل الروائي ؟

جـ - ما هي الأماكن المغلقة والمفتوحة التي تحركت بها شخوص الرواية ؟

د - هل نجح الكاتب في توظيف المكان في السرد القصصي ؟

فرضيات البحث :

أ- ان معظم الأمكنة التي ترد في الرواية تحمل دلالات سلبية لتعكس حجم القلق والرعب الذي عاشه شخوص الرواية في ظل حكم داعش.

ب - تتنوع الأمكنة ويطغى سير الأحداث في الأمكنة المفتوحة على سير الأحداث في الأمكنة المغلقة لأن موضوع الرواية يحتاج الى آفاق رحبة.

ج - من المفترض أن يستخدم الكاتب اسلوب الوصف بكثرة ليعكس لنا مشاهد الدمار والخراب التي طالت أحياء المدينة وأزقتها وشوارعها ، وليخلق في ذهن القارئ صورة ذهنية متكاملة لمسرح الأحداث الذي دارت فيه الرواية.

أهمية البحث وأهدافه :

تكمن أهمية البحث في تناوله الفضاء المكاني في رواية " عذراء سنجار " لأول مرة في حدود اطلاعي . ويهدف الى دراسة الأمكنة التي وردت في هذه الرواية من مفهوم الاتصال (منفتح/ منغلق، داخل/ خارج)، للوقوف على مدى براعة الكاتب في

توظيف هذه الأمكنة في السرد القصصي ، وبالتالي يكون لبنة تنظم الى دراسات كثيرة تناولت الفضاء المكاني في روايات مختلفة.

خلفية البحث :

لم يتناول أي من الباحثين الفضاء المكاني في رواية " عذراء سنجار " كما ذكرنا سابقاً ، ولكن بما أن للمكان حضوراً متميزاً في النص الروائي ، فقد حضي بالكثير من الدراسات منها (الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد " المواصفات - المكونات- الوظائف ") وهي مقالة للباحث محمد علي البنداق منشورة في المجلة الجامعة العدد الخامس عشر - المجلد الثالث - ٢٠١٣م . و(جمالية الفضاء المكاني في رواية " الولي الطاهر يعود الى مكانه الزكي " للطاهر وطار) وهي مقالة للباحث عبد الرزاق علاّ منشورة في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها العدد الخامس ٢٠١٣م . و(المكان في رواية الشماعية للروائي عبدالستار ناصر) وهي مقالة للباحثة خالدة حسن خضر منشورة في مجلة كلية الآداب العدد ١٠٢. و(الفضاء المكاني في رواية " ريح يوسف " لـ : علاوة كوسة) وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثتين نجود زيدو وأحلام موسي الى قسم الآداب واللغة العربية في كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة للعام الدراسي ٢٠١٨م/٢٠١٩م . و(المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة) وهي اطروحة دكتوراه تقدمت بها الباحثة عجوج فاطمة الزهراء الى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب واللغات والفنون جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس للعام الدراسي ٢٠١٧م / ٢٠١٨م. و(المكان في روايات تحسين كرمياني) وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث قصي جاسم أحمد الجبوري الى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة آل البيت للعام الدراسي ٢٠١٥م/٢٠١٦م .

مفهوم الفضاء :

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ف ض ا): (الفضاء المكان الواسع من الأرض ، والفعل فضا يفضوا فُضوا ، فهو فاض [...] ، والفضاء الساحة وما اتسع من الأرض).[١] أما اصطلاحاً (فهو الحيز الزماني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء ، متلبسة بالأحداث تبعاً لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب أو الروائي) .[٢]

والفضاء الروائي (فضاء لفظي يختلف عن الاماكن المدركة بالسمع أو بالبصر . وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها).[٣] وهو (ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يعاش على عدة مستويات: من طرف الراوي بوصفه كائناً مشخصاً وتخيلياً اساساً ، ومن خلال اللغة التي يستعملها . فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان (غرفة- حي- منزل) ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان ، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة).[٤]

ومع أن مفهوم الفضاء (لم يتبلور في التراث العربي الإسلامي كما هو متبلور اليوم أو على الأقل كما كان متبلوراً في حضارات قديمة ، فإن عدة اجتهادات كانت ظهرت – أساساً في الفلسفة والتصوف الإسلاميين لكنها استندت جوهرياً...الى التراث الفلسفي اليوناني في مسار التحديات المختلفة التي كانت تتراوح بين الائتلاف والاختلاف مع النصوص والاجتهادات السابقة . غير أن هذا المفهوم " الفضاء " ويسميه الفلاسفة العرب : المكان ، الخلاء ، الملأ ، الأين ، في بعديه الميثولوجي والفلسفي ظل يتطور تاريخياً ، إلا أنه لم يلتحق بحقل النقد القديم إلا في بعده النحوي).[٥]

وفي الحقيقة إن مصطلح الفضاء (من المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث حديثاً ، وفرضت نفسها بقوة ، بعد أن أهملت سابقاً بسبب انصراف النقاد والباحثين الى التركيز على عناصر أخرى كالزمن ، والشخصيات والأحداث ... الخ ، ولكن الفضاء في الحقيقة يعد هو أيضاً عنصراً أساسياً من عناصر النص الروائي ، وقد أدرك ذلك شلة من الباحثين بعد الحرب العالمية الثانية، فأولوه اهتماماً لائقاً سواء من حيث التنظير أو الممارسة التطبيقية).[٦]

مفهوم المكان :

ورد في لسان العرب في مادة (م ك ن) : (المكان الموضع ، والجمع أمكنة كقذالة وأقذلة ، وأماكن جمع الجمع).[٧] وجاء في معجم الوجيز : (المكان: المنزلة ، يقال: هو رفيع المكان : والموضع " ج " أمكنة) .[٨]

والمكان كمفهوم يعرفه ياسين النصير بأنه (الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي اخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه ، ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان

هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه ، مخاوفه وآماله ، وأسراره وكل ما يتصل به وما وصل اليه من ماضيه ليورثه الى المستقبل).[٩]

أما اجتماعياً فالمكان يعني (البيئة الاجتماعية وتشمل أثر العادات والعرف والتقاليد ونوع العمل السائد في المجتمع وأثر الحضارة عامة على الفن).[١٠]

ومفهوم المكان في الفلسفة كما يقول مهدي عبيدي (مختلف عند الفلاسفة القدماء المثاليين والماديين . ولقد تطور مفهوم المكان عبر الزمان حيث نجد أن الفلسفة المادية قالت دوماً بموضوعية المكان والزمان وشموليتها ، بينما الفلسفة المثالية صورت العلاقات المكانية والزمانية شيئين مرهونين بالفكرة المطلقة والوعي الغيبي ، أو نسبتها الى الأشكال القبلية من الإدراك الحسي أما المادية الديالكتيكية ، فقد اكدت على الارتباط الوثيق بين كل من المكان والزمان والحركة والمادة ، وبذلك استندت في ذلك الى النظرية النسبية لـ " أينشتاين " والتي ترى أن المكان والزمان ليسا جوهرين مستقلين ، وإنما هما الصفات والعلاقات الشاملة للمنظومات المادية ، وأن المكان والزمان مرتبطان ، لا ينفصلان أحدهما عن الآخر).[١١]

ويشير مصطلح المكان (في الخطاب الروائي الى مفهوم إجرائي ، يتشكل من خلال البنية الوصفية المسرودة ، والتي تنقله الينا لغة التخييل ، ليعبر عن أبعاد مصنوعة بواسطة الألفاظ ، تخدم هذه الأبعاد حركة السرد في كليتها ، وفي تتابعها وتواليها ، ولا تنفصل في الوقت ذاته عن المستويات الإشارية والرمزية ، التي يسعى المحكي الى تجذيرها باللغة . ومن تعانق آليات السرد مع لغة الحكي ، تظهر القيمة الوظيفية للمكان).[١٢]

أنواع المكان :

اختلف النقاد والباحثون في تحديد أنواع المكان في الرواية كاختلافهم في تحديد مسميات هذه الأنواع ، فقد حدد (مول ورومير) أربعة أنواع حسب السلطة التي تخضع لها هذه الأماكن وهي: مكان أمارس فيه سلطتي ، ومكان يشبه الأول في نواحي كثيرة ولكنه يختلف عنه من حيث أنني أخضع فيه بالضرورة لسلطة الغير، وأماكن ليست ملكاً لأحد (عامة) ولكنها ملك للسلطة ، ومكان لا متناهي ويكون هذا المكان بصفة عامة خالياً من الناس فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد. أما (بروب) فقد استنبط ثلاثة أطر وهي: المكان الأصل وهو عادة مسقط الرأس ومحل

العائلة والأنس ، والمكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي وهو مكان عرضي ووقتي ، والمكان الذي يقع فيه الإنجاز وقد أسماه غريس باللامكان ، ووضع غالب هلسا الرواية العربية تحت ثلاثة عناوين رئيسية ، الأول المكان المجازي وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية والتشويق ، ووصف بأنه مجازي لأن وجوده غير مؤكد بل هو أقرب الى الافتراض ، والثاني المكان الهندسي ويعني به المكان الذي تعرفه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد ، والثالث هو المكان كتجربة معاشة ويعني به المكان المعاش كتجربة داخل العمل الروائي . ويقسم ياسين النصير المكان الى ثلاثة أنواع وهي : مكان مفترض ، ومكان موضوعي ، والمكان ذي البعد الواحد . وقد استخلص شجاع العاني أربعة أنواع للمكان وهي: المكان المسرحي ، والمكان التاريخي ، والمكان الأليف ، والمكان المعادي .[١٣]

أهمية المكان في العمل الروائي :

لقد (أكدت بعض التيارات في الفكر الفلسفي الحديث مثل " الظاهراتية " أهمية المكان بل لقد ذهبت هذه التيارات الى أن الزمان لا وجود له من دون المكان إذ أنه الحركة في المكان والأشياء ، وقد اقترب غاستون باشلار من هذا المعنى في بعض الأحيان عندما يقول : نعتقد اننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن ، في حين ان كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار المكان الإنساني).[١٤]

ويعد المكان (جزءاً من مكونات العمل الأدبي ، وركيزة من ركائزه يكاد لا يخلو منها فن من فنون الأدب قاطبة ، كالمقامة أو الرواية أو القصة... الخ. وهو بنية أدبية يتكئ عليها الأديب كثيراً في البوح عن هواجسه وما يختلج نفسه من حالات شعورية وعاطفية متعددة . وللمكان وظيفة فنية تصنع في النص فضاءً أدبياً شاعرياً ، يضفي وجوده جماليات فنية بالغة التأثير بما تحمله من دلالات جديدة تحقق اللذة والمتعة وحسن العرض والتعبير).[١٥]

والمكان في العمل الفني (شخصية متماسكة ، ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية . ولذا لا يصح غطاءً خارجياً أو شيئاً ثانوياً ، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلاً بالعمل الفني . والروايات أو القصائد التي تحسن استخدامه إنما تسجل جزءاً من تاريخية الزمن المعاصر وبعكسه سيكون المكان عند كاتب عاد مجرد من معناه الفلسفي والفكري).[١٦]

وقد (أصبح تحديد المكان من السمات التي ميزت الرواية في القرن التاسع عشر وقد أشار " إيان وات " الى هذا التحول الذي طرأ على تشكيل الرواية ويرى أن " دانييل دي فوو "هو أول من ربط بين أبطاله والمكان وهو يؤكد أنه ليس في رواية القرن الثامن عشر ما يضاهي الفصول الأولى من رواية " الأحمر والأسود " لستندال " أو الأب " جوريو لبلزاك " التي تبين مدى اهتمام "ستندال وبلزاك "بالبيئة في الصورة الكاملة التي رسموها للحياة).[١٧] واخيراً (لا يمكن تصور حكاية بدون مكان ، فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في كل مكان محدد وزمان معين).[١٨]

التلازم النقدي لمصطلحي المكان والفضاء:

في الحقيقة ان (الالتباس الواقع بين المصطلحات النقدية الدالة على الفضاء يدور في أغلب الأحيان بين مصطلحين اثنين هما " الفضاء ، المكان " لدرجة أن بعض الدارسين لا يكادون يفرقون بينها).[١٩]

وقد حصل هذا الالتباس كما ذكر حسن نجمي في كتابه " شعرية الفضاء " بسبب ضعف الترجمة حيث قال : (رحم الله الروائي الكبير غالب هلسا ، لقد ارتكب جناية من ذلك النوع الذي يمكن أن نسميه بالجريمة الرفيعة في حق الحقل النقدي والأدبي العربي . ومات ولا تزال ذيول الجناية حية متواصلة . ذلك أن الرجل اندفع ، تحت ضغط شغف غامض بأهمية المكان في الكتابة ، الى ترجمة كتاب غاستون باشلار " شعرية الفضاء " والمكتوب بالفرنسية عن اللغة الانجليزية بعنوان " جماليات المكان "وتميزت هذه الترجمة بضعف ملحوظ).[٢٠]

أضف الى ذلك أن الناقد العربي (لم يهتم ب " فرق الهواء " القائم بين الفضاء والمكان ، بل ولم يهتم عموماً بسؤال لأنه ناقد مستعجل ، يكتب للصحف والمؤتمرات وللاستهلاك العابر).[٢١]

ويرى حميد لحمداني أن مجموع الأمكنة (هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم : فضاء الرواية ، لأن الفضاء أشمل ، وأوسع من معنى المكان . والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء . وما دامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة ومتفاوتة ، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية ، فالمقهى أو المنزل ، أو الشارع ، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكاناً

محدداً ، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها ، فإنها جميعاً تشكل فضاء الرواية) .[٢٢]

ويتفق سعيد يقطين مع ما ذهب اليه حميد لحمداني في (تمييزه بين المكان والفضاء وخاصةً فيما يتصل بعموم مفهوم الفضاء وشموليته ، وخصوصية مفهوم المكان ، وكونه متضمناً في إطار الفضاء) .[٢٣]

ويضع حسن بحراوي الفضاء في نفس كفة المكونات السردية الأخرى حيث يقول: (إن الفضاء الروائي ، مثل المكونات الأخرى للسرد ، لا يوجد إلا من خلال اللغة ، فهو فضاء لفظي بامتياز . ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع ، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمّله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه).[٢٤]

أما الدراسات التي اعتمدت على مصطلح المكان دون الالتفات الى تداخله مع مصطلح الفضاء الدراسة التي قامت بها أسماء شاهين لجماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا حيث (اعتمدت أسماء شاهين كلياً على مصطلح " المكان " دون الالتفات الى ما كان من إشكاليات في العلاقة بين المكان والفضاء أو مناقشة تداخل المفاهيم في هذا الموضوع ، حيث أنها ركزت على تعريف المكان وإبراز أهمية ارتباطه بالعمل الروائي واعتباره أحد العناصر في بنية الرواية ، كما جمعت له من التعريفات ما رأت أنه يحيط بمصطلح المكان وتوظيفه في الخطاب النقدي).[٢٥]

وكذلك من الدراسات التي انتصرت لمصطلح المكان دون الالتفات الى وجود مصطلح الفضاء ، (الدراسة الرائدة لـ " سيزا قاسم " لثلاثية نجيب محفوظ ، وهي تلتزم باختيار مصطلح المكان بالقول :" إلا أننا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة " المكان " وتعلل ذلك بأن كلمة مكان تتسق دلالياً مع لغة النقد العربي . وبشأن هذا الاختيار نجد كذلك الناقد والروائي العربي غالب هلسا ، فهو يتساوق ايضاً مع سيزا قاسم في مقدمة ترجمته لكتاب " غاستون باشلار " وفي دراسته عن المكان في الرواية العربية).[٢٦]

وهناك من رفض مصطلح " الفضاء " مثل عبد الملك مرتاض واستعان بمصطلح آخر هو " الحيز " حيث يقول: (ان مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس الى الحيز : لأن الفضاء من الضروري أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله الى النتوء ، والوزن ، والثقل والحجم ،

والشكل ... على حين أن المكان نريد أن نقفه ، في العمل الروائي ، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده).[٢٧]

و(يمكن تصنيف الأمكنة في السرد الى ثنائيات متعارضة انطلاقاً من مفهوم المسافة (قريب / بعيد) أو الحجم (صغير / كبير) أو الاتساع (محدود / لامحدود) أو مفهوم الشكل (دائرة / مستقيم) أو الحركة (جامد/ متحرك، اتساع/ تقلص، جذب/ إقصاء، اتجاه عمودي / اتجاه أفقي) أو مفهوم الاتصال (منفتح / منغلق، داخل/ خارج) أو مفهوم الاستمرار(استمرار/ انقطاع) أو مفهوم العدد (تعدد/ وحدة ،مسكون، مهجور) أو مفهوم الإضاءة (مضاء/ مظلم، أبيض/ أسود).[٢٨]

وسيقتصر بحثنا هذا على دراسة الأمكنة من مفهوم الاتصال (منفتح / منغلق، داخل / خارج) وذلك كي يتسنى لنا الإحاطة بجميع الجوانب المتعلقة بالموضوع، وبالتالي الوصول الى نتائج مثمرة وملموسة يستفيد منها كل من يطلع عليها.

الأماكن المغلقة :

١- البيت:

البيت هو (المكان المغلق الاختياري ، هو المكان الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي ، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه ، لهذا فالشخصية تسعى إليه بإرادتها من دون قيد أو ضغط يقع عليها).[٢٩]. و(يمثل البيت كينونة الإنسان الخفية ، أي أعماقه ودواخله النفسية ، فحين نتذكر البيوت والحجرات فإننا نعلم أننا نكن داخل أنفسنا . في البيت ينطوي الإنسان على نفسه ، لأنه يمنحه شعوراً بالهناء والطمأنينة والراحة ، وذلك في مقابل ما يتعرض له في محيطهُ الخارجي من تهديد وأذى).[٣٠]

وفي رواية عذراء سنجار لم يكن عدد البيوت كبيراً مقارنةً بعدد صفحات الرواية التي تجاوزت الـ (٤٠٠) صفحة ، وكان بيت الأرملة الحامل أهم هذه البيوت التي دارت بها أحداث الرواية ، حيث التجأ اليها سربست الأيزيدي بعد نزوله من الجبل برفقة شاب مسلم ، ووجد في هذا البيت الأمن والطمأنينة ، وعبر عن هذا الإحساس في أحدى صفحات الرواية حيث قال : (اختار الرب الرحيم هذا البيت ليلة أمس . كشفه البرق مراتٍ كثيرة فأحسستُ في روحي دفئاً وأنا أقف أمامه . تسمرت كأنه بيتي حينما قادنا الكلب اليه في آخر لحظة .. والحمد لله أنت فيه).[٣١]

ولم يكن بيت الأرملة الحامل ملاذاً لسربست وحده بل كان ملاذاً لكل الشنكاليين الفارين من بطش داعش وتعبر هذه الأرملة عن هذا المعنى قائلة : (كثيرون مروا واختبأوا هنا وغادروا وهاجروا ... بيتي مفتوح للشنكاليين . إنها محنة تاريخية لابد أن نتواطأ مع بعضنا لتمر بأقل الخسائر).[٣٢]

ومن البيوت التي أقام فيها سربست فترة من الزمن بيت بائع الفاكهة سالار الذي كان يخبئ أولاده في بئر قديمة في البيت . يقول سربست للمرأة الحامل : (سأتواجد في بيت سالار فترة من الزمن .. اولاده في وضع محزن وربما اصبحوا عمياناً .. سالار يحتسي الخمرة كثيراً في الليل وأخشى أن ينفلت ويسبب مشكلة لنفسه وأولاده في البئر لا يعلم بهم جنود الخلافة).[٣٣]

ومن البيوت التي سلط الكاتب عليها الضوء بيت الخال عفدال الرجل الطيب الذي لم يتنازل عن دينه وهو يعرف إنهم سيعاقبونه بالموت ، وبالفعل أُعدم بطريقة وحشية ، تقول المرأة الحامل : (الخال عفدال المؤمن الصالح ثبت على دينه وهم يوقفونه على حافة السطح مشدوداً بالحبال من كل مكان . كانت لحظته الأخيرة مع الحياة ، سيرتطم بكونكريت الطارمة . ينفجر رأسه يتهشم وهو رجل كبير بالسن لا حول ولا قوة له).[٣٤]

وتتويجاً لهذه الأهمية ختم الكاتب روايته بذكر قدسية هذا البيت على لسان سربست الذي قال : (أبلغ أهل سنجار إن كل أعيادهم يجب أن تمر من هنا .. هنا لالش الأسير الذي كبر بدم الفقير عفدال .. قل لهم هنا حجكم وسعيكم الى الرب.. طريق الرب لابد أن يمر بالفقراء والمظلومين والشهداء).[٣٥]

بيت آخر يذكره الكاتب هو بيت دلشاد الأيزيدي الذي أسلم خوفاً من داعش وصار شرطياً في ديوان الحسبة وأطلقوا عليه اسم عبد الحافظ ، لذلك هو يعيش في صراع نفسي مستمر ، وينتظر الليل ليعود لهذا البيت ويبوح عما بداخله لزوجته بروشي فيقول: (يضيق الليل بي وأتوتر وينهار شكل يومي كنتُ أبنيه بمهارة كلما يدخل الليل الى مساماتي وينفرش أمامي وأنا أتوجه الى دار الطين القديمة التي اسميها داري ليعود اسمي دلشاد الأيزيدي مثلما هو قبل خمسة وثلاثين عاماً من الطين).[٣٦]

وليست كل البيوت طاهرة وعفيفة كالبيوت التي ذكرها الكاتب سابقاً ، فهناك بيت نكاح خاص بعناصر داعش تشرف عليه مجاهدات نكاح من جنسيات مختلفة ، وتقاد اليه السبايا من مختلف الولايات ، تقول نارين عن هذا البيت: (يتناقص كل يوم عدد الأرامل الصغيرات والكبيرات فالمجاهدون يحتاجون النساء دائماً . هناك وجدت

الكثيرات في بيت كبير أظنه دائرة رسمية يتوزعن على عدد غير قليل من الغرف تشرف علينا مجاهدات نكاح كما فهمت من النساء وهن سوريات وتونسيات وواحدة فرنسية).[٣٧]

أما بقية البيوت في الرواية فجاء وصفها عاماً ، كقول سربست عند دخوله المدينة لأول
مرة : (تنكشف خريطة زقاق لبيوت واطئة منحنية متداخلة كلما برقت السماء ونشرت أسلاك الضوء الخاطفة ، بينها مساحات عارية لم تكن موجودة سابقاً).[٣٨]

٢- الغرفة :

تتميز الغرفة (بمحدودية مساحتها وانغلاق جدرانها وصغر حيزها وهي تشغل حيزاً مهماً من حياة الإنسان ، إذ أنها غالباً ما تكون مصدر راحة وأمن وطمأنينة ولها دور كبير من ناحية الجانب النفسي للإنسان فهو يحقق ذاته من خلالها إذ يعتبر المكان الوحيد الذي يتصرف فيه بحرية) .[٣٩] وقد ورد في الرواية ذكر الغرف وأوصافها في مواطن كثيرة منها : (تصمت الحامل ويتكئ الرجل على حائط الغرفة الرطب ، يتثاءب الفتى وصورة نشتمان على شاشة موبايله كأنه ينصت لها وهي تهمس له).[٤٠] وكذلك في (انسدلت العتمة على الصالة وكان آزاد يسترخي وفي رأسه طنين كل يوم ورؤى ما يجري في المدينة شبه الفارغة).[٤١]

٣- معبد لالش :

وهو (موقع مقدس لدى الأيزيديين يقع في منطقة جبلية قرب عين سفني حوالي ٦٠ كم شمال غرب مدينة الموصل في شمال العراق ، وقدسيته تنبع من وجود ضريح الشيخ عدي بن مسافر المقدس لدى اتباع الديانة كما انه مقر المجلس الروحاني للديانة الأيزيدية في العالم).[٤٢] وقد ذكر هذا الموقع ياقوت الحموي في معجم البلدان حيث قال : (ليلش قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل ، منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الأكراد وإمامهم وولده).[٤٣]

وينقل لنا الكاتب زيارة الراهبة نالين للمعبد حيث يقول: (خلطت نفسها مع النساء وقد أدهشتها الألوان الخافقة على أجساد الصبايا والفتيات لكنها لاحظت كآبات متعددة في الوجوه الحائرة وهي تزور المعبد. كلهم ناجون من المجزرة ، كلهم فقدوا ناسهم هناك).[٤٤] كما ينقل لنا حوارها مع سربست عندما أحست بأنه يبتعد عن تعاليم الأيزيدية فتقول له:

(فرصتك أن تكون الآن في لالش ، تعال نتبارك بضريح شيخادي ، قل يا رب وتعال معي ، الق همومك عند الضريح واشرب من ماء زمزم .. تعال تعّمد من جديد يا أخي المهموم .. هذا دينك الأخير وخلاصك الأخير).[٤٥]

٤- المسجد :

المسجد هو (مكان اجتماع الناس يومياً لأداء العبادات ، وهو ملاذ كل شخص يطلب السكينة والهدوء ، وهو المكان الذي يقصده طالب العلم لطلب العلم ، وهو مطلب المحتاج الذي يستغل اجتماع الناس للصلاة لطلب الحاجة).[٤٦]

لكن دور المسجد في رواية عذراء سنجار لم يكن كذلك ، فقد أستغله تنظيم داعش الإرهابي في ظلم الناس وإقامة الحد عليهم ، وينقل لنا الكاتب في صفحات عديدة مشاهد مروعة لعمليات الإعدام في ساحة الجامع على لسان الشخصية الرئيسية في الرواية (سربست) فيقول : (خرج رجلان من غرفة جانبية تقع عند جدار الجامع يقودان شاباً منهار الملامح ، نحيفاً وحافياً بالكاد يمشي ، افردوا ذراعيه على العارضة وربطوه مثل المسيح في لحظة صلبه كما باعدوا رجليه على مسندين يسندان العارضة، قال الشاب أشياء لم يسمعها ، كان يبكي ويتوسل ويعلن التوبة حتى إنه صاح أكثر من مرة بالشهادتين ، اصطك رأسه برؤية فريدة وهو يرى ملتحياً بلا شارب يقف خلف جسد الشاب ويجز رأسه بسكين طويلة وبخفة جزار كما يحدث في الأضحيات الدينية) .[٤٧]

٥- المقهى :

المقهى هو(المكان المغلق المُعَد للإقامة المؤقتة ، هو مكان يدخل في بناء العمل الروائي بوصفه فسحة خلاقة تقدم تفاعلاً ملموساً مع شخصيات العمل نفسه ، وفضاء تتمحور فيه الأحداث التي تجري من خلال الحوارات والوصف).[٤٨]

ومقهى المدينة كما يذكر الكاتب على لسان سربست تغير كثيراً، فلم يعد كما كان قبل دخول عصابات داعش الى القضاء يقول : (يمضي الى مقهى المدينة من دون هدف، تغير كل ما فيها ، الوجوه جديدة ومتلبسة واللحى مسترسلة والبنادق شاخصة على الأكتاف وبدل الصخب القديم المعتاد حل سكون بين الجالسين في وجوه خائفة ومخيفة، كأنما يطاردها خوف سيحل بين لحظة وأخرى).[٤٩]

٦- المدارس :

للمدرسة أهمية بالغة في حياة المجتمع ، فهي تشارك الأسرة جنباً الى جنب في بناء الإنسان ، وتهدف الى بناء جيل متعلم يستطيع خدمة الوطن ، ويدفع عجلة التقدم الى الأمام . وفي هذه الرواية لم يرد ذكر أسماء مدارس أو اوصافها ماعدا مدرسة " أمية المختلطة " وجاء ذكرها على هامش الأحداث فقط . في حين ذكرت مدرسة " أشبال الخليفة " التي لعبت دوراً جوهرياً في التأسيس لثقافة العنف والقتل عند الأطفال في تلك المناطق . يقول الفتى المسلم الذي كان برفقة سربست في بيت الأرملة الحامل : (أمس ركبنا مبكرين في سيارة بيك آب وتبعنا سيارته في جو بارد ومياه تملأ الشوارع الى مدرسة أشبال الخليفة التي كنت أسمع بها وكنت أخشاها بصراحة).[٥٠]

٧- المخيمات :

لم ينقل لنا الكاتب مشاهد الحياة داخل مخيمات اللاجئين ، وأكتفى بذكر أسماء العديد منها ، ونجد ذلك في وصفه لحالة سربست وهو بانتظار قوائم الأسيرات العائدات ، يقول : (لا يستطيع أن ينحشر مع الناس المتزاحمين الذين هبوا من مخيمات شاريا وباعذار وإيسيان وخانكي وسرسنك).[٥١]

كما ورد وصف لأحد المخيمات من الخارج بعيون سربست عندما قال : (بدا المخيم من أعلى الجبل كموقع شبحي يظلله الغيم المار كما لو يظلل وجوده الهارب المتستر في مظلات متشابهة تراصفت حتى بدت كقباب من الشمع).[٥٢] وشعوره عندما كان داخل المخيم حيث قال : (في شهور المخيم الكئيبة والعزلة الصوفية التي انفرضت عليه بغياب وحيدته وأسرها).[٥٣]

٨- المحكمة :

المحكمة (هيئة تتولى الفصل في القضاء ومكان انعقاد هيئة الحكم)[٥٤]. ومن المفترض أن تحق الحق ولا تميز بين شخص وآخر، لكن محكمة الولاية الشرعية في قضاء سنجار فعلت العكس ، يذكر لنا الكاتب أنها أجبرت الجميع من غير المسلمين على دخول الإسلام مثل كولي البعشيقية وفرهاد السنجاري يقول : (كان سالار وآزاد في محكمة الولاية الشرعية كشاهدين شرعيين لزواج الشابين كولي البعشيقية وفرهاد السنجاري الذين اضطرا لإعلان التوبة بوقتٍ سابق)[٥٥]. كما ذكر لنا مجموعة من

الأحكام الجائرة التي صدرت بحق المواطنين الأبرياء عندما نقل لنا مشاهداً من المسجد ، وقد أشرنا لها سابقاً .

٩ – الفندق :

الفندق(نُزُل يهيَّأ لإقامة المسافرين بالأجر)[٥٦].والفندق الوحيد الذي ذكر في هذه الرواية هو" فندق الثقلين " الذي كان مخصصاً للقادة والأمراء من تنظيم داعش ، وجاء ذكره أول مرة على لسان الفتى المسلم حينما قال :(ذهبت على نحو سريع وغير متوقع مع حماية القائد الشيشاني للموصل لأمور لا أعرفها واننا التحقنا به في فندق " الثقلين " الذي يسكنه القادة والأمراء).[٥٧]

١٠– المغارة :

من الأماكن المغلقة التي وردت في الرواية " المغارة " وورد ذكرها على لسان الراهبة نالين حيث تقول : (خرج الفتى من فوهة كهف ، لم تتبين ملامح المكان بشكل جيد ، غير إنها تيقنت إنه نفق اختاره سربست ليبتعد عن ألم الجماعة ويستقل بألمه الشخصي)[٥٨].

وهناك العديد من الأماكن المغلقة التي لم نتناولها بالشرح والتفصيل مثل ، مستشفى المدينة ، ومركز الشرطة ، ومطار تركيا ، وذلك لأنها وردت بشكل عابر في سياق الرواية.

الأماكن المفتوحة :

١- المدينة :

في الحقيقة أن (موروث كل من الرواية والمدينة يشير الى نوع من موازاة البنية ، وأن سمات " الحراك " و " المرونة " و " التنوع " كانت دائماً ، ولا تزال ، جزءاً من المكونات الأساسية التي تصوغ شكليهما ، وأن هذه السمات ، بما تسمح به من قدرة على الاستيعاب والتكيف والامتداد ، تقدم تفسيراً لتزايد وانتشار ظاهرة التحضر المديني من ناحية ولصعود وازدهار فن الرواية التي أصبحنا نعيش عصرها من ناحية أخرى).[٥٩]

والمدينة (بوصفها ظاهرة مكانية خاضعة للتطور الزمني وذات وظائف حياتية مسطرة قبليا ، ركز عليها الأدب المعاصر وشحنها برموز وأبعاد ودلالات مختلفة ، لتصبح ذات دلالة فكرية معقدة نسبياً).(٦٠)

وقد هيمنت المدينة في رواية عذراء سنجار على الأحداث ، وكانت حاضرة بشكل كبير في جميع تفاصيلها ، فالرواية عبارة عن مأساة عاشها شخوص كما عاشتها مدينة في ظل أعتى التنظيمات الارهابية . ويذكر لنا الكاتب وصفاً دقيقاً لمدينة سنجار على لسان سربست عندما شاهد مدينته لأول مرة بعد أن عاد من الجبل بحثاً عن ابنته، فيقول : (بدت المدينة كتلة شبحية من البيوت الصامتة والمحال المغلقة والعتمة التي زادتها شبحية وعزلة).(٦١)

وتأكيداً لهذا المعنى يقول في موضع آخر(رأى المساحات العارية في الأزقة لبيوت الطين التي اقتلعتها الشفلات فغيّرت من خريطة المكان كثيراً ، ولم ير الا القليل من الناس ولم يعرف منهم غير عيدو الذي يتحاشاه لسلاطة لسانه . .. مدينة من عجائز وحجر وخواء وغرباء وسجون سرية وأسرى مدفونين في غرف مظلمة وحيوات مفجوعة بالألم وضيق التنفس وجُمَع من تسابيح ودم وموت وذل).(٦٢)

وتطالعنا هذه الصورة القاتمة في كل صفحات الرواية ، والسبب كما يقول سربست أن : (المدن التي تُحتَل لا تعود الى سابق عهدها ، لن تكون أجمل مما مضى مهما كان الماضي بسيطاً ، مثل الوردة المقطوعة من غصنها لن تفلح عملية تجميلها وإعادتها).(٦٣)

والمدينة الثانية التي ذكرت بعد سنجار هي مدينة الموصل ، وعلى الرغم من أن الكاتب خصها بعنوان منفرد ، لكنه لم يصف وضعها المأساوي بدقة ، بل مجرد إشارات عابرة هنا وهناك ، ومنها ما جاء على لسان الفتى المسلم حينما دل الارهابي أبو عكاشة على سوق بيع السبايا ، يقول: (كنت أدلّه بطريقة مباشرة بوصفي ابن المدينة وأعرف أين ينتشرون وكيف يتصرفون بعدما أوقعوا الموصل في الفخ وأطبقوا على أنفاسها).(٦٤)

وقد وردت أسماء مدن مثل دمشق وبغداد وحلب والبصرة وبيجي وتكريت وديالى والفلوجة وغيرها ، وأسماء دول مثل فرنسا وافغانستان وسوريا وتونس وغيرها ، لكن ذكرها كان هامشياً في سياق الرواية .

٢- القرية :

على الرغم من أن (الفن الروائي ابتدع ليعبر عن المدينة – وليس القرية – وارتبط ازدهاره بنشأة المدن الكبيرة ، وانتشار التعليم) كما يقرر محمد حسن عبدالله في مقدمة كتابه " الريف في الرواية العربية ".[٦٥] الى ان الكتابة عن القرية (تمتد في إبداعنا العربي الروائي منذ رواية " زينب " لمحمد حسنين هيكل ، تلك الرواية التي اتخذت من المشهد القروي، عالماً ورؤية في معظم جوانبه ، مروراً بالعديد من الكتاب، مثل عبد الرحمن الشرقاوي في " الأرض " ، وتوفيق الحكيم في " يوميات نائب في الأرياف ").[٦٦]

والقرية في عذراء سنجار لم تكن محوراً رئيسياً في الأحداث ، لذلك جاء ذكرها بشكل مقتضب ،على لسان بعض شخوص الرواية ، ووصف لنا الكاتب القرى المتاخمة لقضاء سنجار على لسان الشخصية الرئيسية في الرواية سربست حينما قال: (كان يرى مع آخر الغروب مساحات عارية في الكثير من القرى المتاخمة للقضاء في الكروني والرمبوسي وتل قصب ، مساحات مهجورة ومتروكة وعراء مبعثر بهياكل بيوت طينية في فوضى المكان الذي يطالعه الآن وهو يتحسس قلبه المضطرب في هذا الدخول غير الآمن).[٦٧]

كما ورد ذكر القرية في قصة هروب الراهبة نالين من تنظيم داعش عندما قالت : (نباح الكلاب ليس قريباً ، إنه في مكان ما من القرية. همست نالين مع نفسها ، كلاب القرية تعرفني، كانت توطّد الشجاعة في داخلها .. بحق طاووس ملك يا خودا خلصنا).[٦٨]

أما بقية المواضع التي ذكرت فيها القرية فهي قليلة جداً ، ولا تتعدى عدد الأصابع ، وهي بمجملها مجرد عبارات وردت في سياق السرد القصصي.

٣- الأزقة والشوارع :

الشارع كما يقول ياسين النصير(صحراء المدينة ، وجزؤها الزمني ، وحياتها الدائبة المتحركة ، ولولب بعدها الحضاري، لامتداده ، طاقة على مد الخيال، ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان ، لسعته رؤية ريفية مدنية، ولضيقه رؤية المدن الصغيرة الوسطية، ولساكنيه حرية الفعل وامكانية التنقل ، وسعة الاطلاع والتبدل، ولذا فعدم استقراره هو استقرار آخر، هو التكوين الذي بدونه لم يصبح للشارع معنى).[٦٩]

والازقة والشوارع كان لها حضور كبير في رواية عذراء سنجار، وقد ذكر الكاتب الأحداث المرتبطة بها والوظيفة التي تؤديها، وفي بعض الأحيان رسم جغرافيتها ، ومن نماذجها في الرواية نذكر.(في منتصف الشارع الذي ينتصف المدينة ومع انسدال الغروب توقفت الشاحنة وهدأ محركها).[٧٠] وكذلك في (يتقاطع مع العم آزاد في شارع يؤدي الى سوق المنارة ، عرف إنّ أهالي منطقته إما قتلوا في مقابر جماعية أو هجروا المدينة ومن بقي منهم صار مع داعش أو تحايل بشكل ما وصار نصفين).[٧١]

٤- الحدائق :

تعتبر (الحديقة من الأمكنة العامة المفتوحة، يرتادها الناس، لتمضية وقت للاستراحة، والتمتع بأشجارها وأزهارها وحشائشها الخضراء، والركون الى الهدوء النفسي والراحة. والحديقة مكان ألفة محببة ومسلية، يلجأ اليها الناس، يتعارفون فيها، وأحاديثهم فيها عامة).[٧٢]

وهذا التعريف لا ينطبق على الحدائق في مدينة سنجار التي دمرها داعش وقتل أغلب رجالها وسبى نسائها، فهي لم تعد جميلة في عيون من تبقى منهم . وذكر الكاتب هذا المعنى عندما تحدث عن شعور سربست بعد عودته الى المدينة : (كان يقول لنفسه ان الغياب له رائحة لا يعرفها إلا من غاب له غائب، ومع إن أجواء الربيع تتفتح وتنشر عطر الأزهار الا ان الرائحة ذاتها ماتزال كما عرفها منذ ان وطأ المدينة مع فتاه. الحدائق ميتة والأزهار ذابلة كما يشمها بحس مهندس زراعي قديم).[٧٣] ولا يتعدى ذكر الحدائق في بقية الرواية عن كونه وصفاً للبيئة الطبيعية من دون بيان الموقف منها .

٥- السوق :

السوق هو(مكان تجاري تختلف بنيته الهندسية والعمرانية تبعاً للمكان الواقع فيه سواءً أكان قرية أم مدينة وهو ليس مكاناً للتبضع فحسب وإنما للقيا والحوار الاجتماعي المتبادل).[٧٤] وقد استثمر الكاتب الخصائص العامة لسوق سنجار لبيان ما آلت اليه الأوضاع بعد دخول داعش للمدينة ، وهو أمر برع فيه مع جميع الفضاءات المكانية في الرواية. حيث قارن ما بين الوضع الحالي للسوق وما كان عليه سابقاً ليقف القارئ على حجم المأساة التي حلت بالمدينة. ومن هذه النماذج ما أوضحته الأرملة الحامل لسربست عن أوضاع السوق حيث قالت:(سالار صار بقالاً لأنه لا توجد دوائر ولا

وظائف. ستجد عيدو المجنون وهو يتحرش ويناكد جنود الحسبة في السوق. مثلما اسمع دلشاد شرطي في ديوان الحسبة. الشنكاليات العجائز وقد تحولن الى أفغانيات والبقية في السجون أو مختطفات. ستجد عناصر الخلايا العربية التي كانت نائمة واستيقظت مع الغزو. مثلما ستجد الشيشاني والمصري والصيني ...سترى أشياء لا تُصدّق وتتمنى لو لم تعد).[٧٥]

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر على لسان سربست حينما يقول: (اختلفت أصوات الباعة وأشكالهم ومناداتهم على بضائعهم من التين والزيتون والبرتقال والرمان والتفاح والخضروات. طينٌ كثير يغمر السوق وذباب يتكاثر على الأقفاص والسلال ومعروضات الفاكهة على مناشرها العشبية والخشبية وضجيج مولدات صغيرة تنير أجزاء من السوق بمصابيح ثلجية تحت كل بائع تقريباً).[٧٦]

وهناك سوق آخر ذكره الكاتب على لسان الفتى المسلم حينما قال: (الأمر ليس سهلاً يا عم .. الموصل كبيرة.. ستجد في سوق الزهور مكاناً لبيع السبايا الأيزيديات).[٧٧]

نلاحظ أن المكان في هذه العبارة وظف توظيفاً ناجحاً، كما هو الحال في بقية الأمكنة التي جاءت في الرواية، حيث استخدم الكاتب السوق للتعبير عن حجم المعاناة التي عاشها أبناء الديانة الأيزيدية في ظل تنظيم داعش.

خاتمة

من خلال دراستنا للفضاء الروائي في رواية " عذراء سنجار " توصلنا الى النتائج التالية :

١- كان الكاتب موفقاً بتوظيف المكان في السرد القصصي، فمعظم الأمكنة التي جاءت في الرواية تحمل دلالات سلبية ، وتعكس حجم القلق والرعب الذي عاشه شخوص الرواية ، وهذا ما أراده الكاتب بالضبط .

٢- الأمكنة في الرواية متنوعة ما بين الأماكن المغلقة كالبيت والغرفة والمسجد والفندق ، وما بين الأماكن المفتوحة كالمدينة والقرية والسوق ، فالرواية لم تقتصر على رؤية مكانية محددة، وهذا ما نلمسه من خلال الانتقال الواضح لشخوص الرواية من مكان لمكان آخر، على طول المدة الزمنية التي استغرقتها الأحداث في الرواية .

٣- وعلى الرغم من تنوع الأمكنة نلاحظ أن سير الأحداث في الأمكنة المفتوحة طغى وبشكل واضح على سير الأحداث في الأمكنة المغلقة ، لأن موضوع الرواية يحتاج الى آفاق رحبة وواسعة لا تقف عند حدود ضيقة.

٤- استخدم الكاتب الوصف بكثرة خاصةً " وصف المكان " وخلق في ذهن القارئ صورة ذهنية متكاملة لمسرح الأحداث الذي دارت فيه الرواية .

٥- كانت علاقة المكان بالفضاء في هذه الرواية علاقة الكل بالجزء ، وهذا ما يدعم الرأي القائل بأن الفضاء أعمق وأشمل من المكان.

٦- لم يتفق النقاد والباحثون العرب على مفهوم محدد لمصطلح الفضاء ، فمنهم من ذهب الى أن هذا المصطلح أعمق وأشمل من مصطلح المكان ، ومنهم من اعتمد في دراسته على مصطلح المكان فقط دون الالتفات لتداخله مع مصطلح الفضاء ، ومنهم من جعل هذين المصطلحين في كفة واحدة ، ومنهم من رفض هذا المصطلح واستعان بمصطلح آخر هو الحيز.

٧- ان عنوان الرواية الذي ارتبط بالمكان حمل قيمة دلالية كبيرة ، فالشابة الأيزيدية نشتمان التي سباها داعش واغتصبها ، كانت رمزاً لعمل كبير فهي تعني سنجار برمتها التي فقدت عذريتها.

المصادر والمراجع

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق ياسين سليمان أبو شادي ، دار التوفيق للتراث ، القاهرة ، ج ١٣ ، ٢٠٠٩م ، ص٣١٣.

(٢) الفضاء الروائي في الغربة : الإطار والدلالة ، منير محمد البوريمي ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، دار النشر المغربية – الرباط ، ١٩٨٣م ، ص٢١.

(٣) شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥م ، ص ٧٣.

(٤) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص ٣٢.

(٥) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية في الرواية العربية ، حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٦ و ص ٣٧.

(٦) معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص١٢٣.

(٧) لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٣، ص١٧٦.

(٨) الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ٥٤٦.

(٩) الموسوعة الصغيرة ، الرواية والمكان ، ياسين النصير ، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، العدد ١٩٥ ، ص ١٦ و ص ١٧.

(١٠) علم الجمال الاجتماعي محمد عزيز نظمي سالم ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٩٠.

(١١) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة ، مهدي عبيدي ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١١م ، ص ٣٠.

(١٢) استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل ، محمد مصطفى علي حسانين ، دائرة الثقافة والاعلام ، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٣م ، ص ١٠.

(١٣) انظر الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، إبراهيم جنداري ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٣م ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

(١٤) مجلة كلية الآداب ، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر ، خالدة حسن خضر ، العدد ١٠٢ ، ص ١١٨.

(١٥) مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الفضاء المكاني في مقامات الحريري ، العدد ٢ ، المجلد ٤٣ ، ٢٠١٦م ، ص٨٥١.

(١٦) الموسوعة الصغيرة ، الرواية والمكان ، ياسين النصير ، ص ١٧.

(١٧) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا قاسم ، مكتبة الأسرة ، مصر ، ص١١٠.

(١٨) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة ، دار الإيمان ، الرباط ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص ٩٩.

(١٩) سيميائية الفضاء في رواية خرائط لشهوة الليل لبشير مفتي ، سهيلة حركاتي ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة والأدب العربي في كلية الآداب واللغات ، جامعة سطيف٢ ، ٢٠١٤م ، ص٢٧.

(٢٠) شعرية الفضاء ، المتخيل والهوية في الرواية العربية ، حسن نجمي ، ص٤٢ و ص ٤٣ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص٤٣.

(٢٢) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص٦٣.

(٢٣) قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٢٤٠.

(٢٤) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص٢٧.

(٢٥) دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر ، جمال مجناح ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر- باتنة ، ٢٠٠٨م ، ص١٩.

(٢٦) مجلة الآداب ، الفضاء الروائي : المصطلح والعلاقات ، وردة معلم ، العدد ١٤ ، ص٨٣.

(٢٧) في نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد ٢٤٠ ، ١٩٩٨م ، ص ١٢١.

(٢٨) تحليل النص السردي : تقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة ، ص ١٠١.

(٢٩) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا ، مهدي عبيدي ، ص ٤٧.

(٣٠) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة ، ص ١٠٦.

(٣١) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، منشورات ضفاف ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ط١ ، ٢٠١٦م ، ص ٣٤.

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٨٢.

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٥.

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٩٧.

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨.

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢٤.

(٣٩) هندسة المكان في النص الروائي العربي رواية الجرح الأخير لبركات جمال الدين انموذجاً ، أمينة بعيري ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب واللغات ، جامعة أكلي محند أولحاج ،٢٠١٦م، ص٤١.

(٤٠) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٩١.

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩.

(٤٣) معجم البلدان ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ١٩٧٧م ، ص ٢٨.

(٤٤) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٢٣٥.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦.

(٤٦) تجليات المكان في الأدب السردي العباسي – الرسالة البغدادية ومقامات الهمذاني والحريري نموذجاً – محمد إبراهيم خالد الخوجة ، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٣.

(٤٧) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٧٥.

(٤٨) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، مهدي عبيدي ، ص ٦٧.

(٤٩) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٦٠.

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.

(٥١) المصدر نفسه ، ٢١٩.

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤.

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧.

(٥٤) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٩٠.

(٥٥) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٣٧٩.

(٥٦) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص ٧٠٣.

(٥٧) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٢٩٨.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥.

(٥٩) كتابات نقدية : الرواية والمدينة نماذج من كتاب الستينيات في مصر ، حسين حمودة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، العدد ١٠٩ ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٦٠.

(٦٠) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر: دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م ، مصدر سابق ، ص ٢٣.

(٦١) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٢١.

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٨١.

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٦.

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩.

(٦٥) الريف في الرواية العربية ، محمد حسن عبدالله ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد ١٤٣، ١٩٨٩م ، ص ٧.

(٦٦) كلية الدراسات العليا ، برنامج الدراسات العربية المعاصرة ، القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة : أحمد رفيق عوض نموذجاً ، زاهي إبراهيم ناصر ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٨.

(٦٧) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٢٠.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٢٨١.

(٦٩) الموسوعة الصغيرة ، الرواية والمكان ، ياسين النصير ، ص ١١٤.

(٧٠) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٢١.

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٧٢) جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية ، محبوبة محمدي محمد آبادي، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، ٢٠١١ ، ص ٥٣.

(٧٣) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ١٥٠.

(٧٤) المكان في الرواية البحرينية (دراسة في ثلاث روايات : الجذوة – الحصار – أغنية الماء والنار) ، فهد حسين ، فراديس للنشر والتوزيع ، البحرين ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٨٨،

(٧٥) رواية عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، ص ٣٠.

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٩٨.

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩.